الأصـــبهانى الشــاب

قارئ المدينة المنــــورة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .... وبعد

فإننا نقدم إلى القارئ الكريم أحد قراء القرآن من تابعى التابعين رضوان الله عليهم - هذا القارئ هو نافع بن أبى نعيم، أو كما أطلقنا عليه: الأصبهانى الشاب قارئ المدينة المنورة وإتخذنا من هذا عنواناً للكتاب، وقبل أن ندلف الى موضوعنا نشير إلى نقطتين:

أولاً: إذا كان الله قدا صطفى الأمة الإسلامية من بين الأمم، فإن رب العزة قد اجتنبى من تلك الأمة هذه الصفوة التى تتمثل فى هؤلاء القراء الذين نشرف الآيه بالحديث عن أحد أئمتهم، ذلك أننا قد وجدنا من خلال مطالعتنا لتاريخهم وحياتهم أنهم كانوا المثل العليا للإسلام على أرض الواقع، لقد كانوا - كما يقال - الإسلام يمشى الأرض، ولم يكن هؤلاء القوم يحفظون القرآن فى ذاكرتهم، بل يحفظونه فى دمائهم، فى كل ذرة من ذرات أجسامهم وكيانهم، فقد روى أن أحد القرار مرض سنتين ثم رجع إلى القرآن لم يلحن فيه حرفا.

ثانيا : إن نافعا من أصبهان، أى أنه ينتسب إلى تلك الأروقة التى ينتسب إليها الصحابى الجليل سلمان الفارسى - رضى الله عليه - ومن ثم فإن من الخير أن نشير إلى بعض ما ورد[1] فى فضل هؤلاء القوم، ومدينة أصبهان بالذات فنقول:

(١) وهو مقتبس من كتاب اقتضاء السواط المستقيم لابن تيمية، انظر ص١٤٤ وما بعدها.

١- روى عن أبى هريره عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فى قوله تعالى: "وإن تتولوا يستبدل[١] قوما غيركم" أنهم من أبناء[٢] فارس.

٢- وروى عن أبى هريرة أيضا أنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين[٣] منهم لما يلحقوا بهم) فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسى ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لنا له رجال من هؤلاء)[٤].

٣- وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيضا: (لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله) وفى رواية أخرى: (لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس)[٥].

وإن التاريخ القريب والبعيد لخير مصداق لكل ماسبق، فقد كان: (فى التابعين ومن بعدهم من أبناء فارس مثل الحسن البصرى (ت١١٠هـ) وابن سيرين (ت ١١٠ هـ). وغيرهما، إلى من كان بعد ذلك فيهم من المبرزين فى

---

(١) ٣٨/ محمد.

(٢) اقتضاء السراط ص١٤٤، وانظر ايضا تفسير بن كثير ١٨٢/٤،.

(٣) الآية الثالثة .

(٤) الاقتضاء ص١٤٤ وانظر تفسيرا بن كثير ٣٦٢/٤.

(٥) الاقتضاء ص١٤٥.

الإيمان والدين والعلم، حتى صار هؤلاء في ذلك أفضل من أكثر العرب)[١] ويعقب ابن تيمية: (وكذلك فى سائر أصناف العجم من الحبشة والروم والترك وغيرهم، سابقون فى الإيمان والدين لا يحصون كثرة، على ما هو معروف عند العماء، إذ الفضل الحقيقى هو اتباع ما بعث الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان والعلم باطنا وظاهرا، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة فى الكتاب والسنة، مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعمل الصالح والإحسان ونحو ذلك، لا بمجرد لون الإنسان عربيا أو أعجميا أو أسود أو أبيض، ولا يكون قرويا أو بدويا[٢]، ولهذا لما علم المؤمنون من أبناء فارس وغيرهم هذا الأمر أخذ من وفقه الله منهم نفسه بالاجتهاد فى تحقيق المشابهة بالسابقين، فصار أولئك من أفضل التابعين بإحسان إلى يوم القيامة، وصار كثير منهم أئمة لكثير من غيرهم، ولهذا كانوا يفضلون من الفرس من رأوه أقرب إلى متابعة السابقين)[٣].

أما مدينة أصبهان[٤] والتى ينتسب إليها الصحابى الجليل سلمان فمما ورد فى فضلها:

١- قال الأصمعى: (عجم أصبهان قريش العجم)[٥].

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) الاقتضاء ص١٦٣.

(٤) تقع مدينة أصبهان الآن إلى الجنوب من طهران، انظر الأطلس العربى، ص٥١.

(٥) الاقتضاء ص١٦٣.

٢- قال سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) وهو أحد فقهاء التابعين (لولا أننى رجل من قريش لتمنيت أن أكون من أهل أصبهان، لقول النبى صلى الله عليه وسلم: (لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله ناس من فارس)[١].

٣- إن آثار الإسلام كانت بأصبهان أظهر منها بغيرها، حتى قال الحافظ عبد القادر الرهاوى: "ما رأيت بلدا بعد بغداد أكثر حديثا من أصبهان"[٢].

وبرغم أن نافعا كان إمام دار الهجرة فى القراءات، وألمع نجوم القراءة فى العالم الإسلامى فإنه لم يحظ - مثل غيره من القراء - بما هو أهل له من الدرس والاهتمام، اللهم إلا ماكتبه الدكتور عبد المتعال[٣] سالم والدكتور عبدالله خورشيد[٤]، وهى إشارات قليلة فرضها الموضوع الذى تحدث عنه الأستاذان الكريمان، وهذا ما دفعنى الى الكتابة عن هذا الرجل الذى رحل الناس - من كل رجا من أرجاء دولة الإسلام - للقراءة عليه كما سيأتى.

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) فى كتاب أثر القراءات فى الدراسات النحوية، انظر ص١٧.

(٤) فى كتاب القرآن وعلومه فى مصر، انظر ص١٨٤ وما بعدها.

ونبدأ الحديث عن الإمام نافع بما يلى :

ميلاده: ولد سنة سبعين[(١)]، وكان من سبى أصبهان، من محله يقال لها سبيلان[(٢)].

ولاؤه: نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم، كان له كنيتان، أبو رويم، وأبو عبدالله [(٣)]، وهو مولى جَعْونةِ بن شَعوب[(٤)] الليثى، حليف حمزة بن المطلب، عم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجعونة من ولد الأسود بن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عويرة بن رشجع بن عامر بن ليث[(٥)].

حياته: لم تشر المراجع التى بين أيدينا إلى كيفية انتقال نافع من سبيلان حيث ولد إلى المدينة حيث قضى الجزء الأكبر من سنى حياته، وإن كان يبدو أنه جاء إلى دار الهجرة وهو فى مقتبل عمره، فقد قال شيخه أبو جعفر يزيد ابن القعقاع (ت ١٣٠هـ): "أترى هذا – يقصد نافعا – كان يأتينى وهو غلام فيقرأ علىَّ، ثم كفر بى وهو يضحك[(٦)].

وقد عاش نافع بالمدينة، ولم يؤثر عنه أنه غادرها، لكن الدكتور عبد المتعال[(٧)] سالم يقول: (يحدثنا السيوطى أن عمر بن عبد العزيز أرسل نافعا إلى مصر ليعلم المصريين فأقام بمصر مدة) وقد حاولت العثور على مصدر

---

(١) لطائف الإشارات للقطلانى ٩٤/١.

(٢) الكامل للهذلى ورقة ١٨ نسخة ملك الشيخ عامر عثمان.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص٥٣.

(٤) شَعوب امرأة من خزاعة، انظر طبقات ابن سعد ط. ليدن ٣٤/٥.

(٥) طبقات ابن سعد، وليث بن بكر بطن من كنانة بن خزيمة، من العدنانية، انظر معجم قبائل العرب للأستاذ رضا لمحاكمة ١٠١٩/٣.

(٦) القراء للذهبى ٦٠/١.

(٧) أثر القراءات فى الدراسات النحوية ص١٧.

هذا النص من كتب السيوطى، أو من المرجع الذى أشار اليه الدكتور عبد المتعال، ولكن دون جدوى فاتصلت به فكتب إلى بما يلى: (إن الكلام لم يكن يدور حول نافع، بل حول ورش، وان الكتاب خرج الى السوق دون علمه وقبل مراجعة التجارب.

مكانته: نافع أحد القراء السبعة، وإمام دار الهجرة فى القراءات، كان أسود اللون حالكا، فيه دعابة، طيب الخلق، قال عنه تلميذه قالون (ت ٢٢٠هـ): (كان نافع من أطهر الناس خلقا ومن أحسنهم قراءة) وكان زاهدا جوادا، صلى فى مسجد رسول صلى الله عليه وسلم - بالمدينة ستين[١] سنة، وقال عنه الأصمعى: "كنت أجالس نافع بن أبى نعيم، وكان من القراء الفقهاء العباد[٢]".

وقال رجل ممن قرأ على نافع: (إن نافعا إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك) فقلت له: (تتطيب كلما قعدت تقرى الناس؟) قال: (ما أمس طيبا، ولا أقرب طيبا، ولكنى رأيت فيما يرى النائم النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ فى فىَّ، فمن ذلك الوقت أشم من فىَّ هذه الرائحة) وقيل لنافع: (ما أصبح وجهك وأحسن خلقك؟) قال: (كيف لا أكون كذلك، وقد صافحنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه قرأت) يعنى فى المنام[٣].

ولم يكد نافع يبلغ الثلاثين من عمره حتى كان قد أجاد القرآن، ومهر فيه وحذق، واستطاع أن يختار لنفسه قراءة تنسب إليه، وحين استمع الناس

---

(١) القراء الكبار الذهبى ٨٩/١.

(٢) ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم ٣٢٦/١.

(٣) طبقات ابن الجزرى ٣٣٠١٢.

إلى قراءته صاروا إليها وتمسكوا بهـا، ولـم يمـض زمـن طويـل حتـى احتلت قراءة نـافع مركـز الصـدارة فـى المدينـة، وانتهـت إليـه رياسـة القـراء هنـاك، وتجاوزت شهرته المدينة، وطارت إلى آفاق العـالم الإسـلامى، فتقـاطر النـاس عليه يأخذون عنه القرآن والسنة، ويتلمذون عليه(١).

وقـد أخـذ مكـان الصـدارة فـى القـراءة وشـيخه الأول أبـو جعفـر (ت١٣٠هـ) - الذى أقرأ الناس دهرا - مـا يـزال حيـا، وفـى حيـاة شـيبة مـن نصاح (ت١٣٠هـ) أيضا، وكـان أحد شيوخه، وانصـرف النـاس عـن أستاذه الأول أبى جعفر إلى هذا الشاب الأصبهانى الذى فاق أساتذته(٢).

وكان نافع محدثا أيضا، فله أحاديث رواها عنه أئمـة الحديـث بالمدينـة، وقد وثقه يحيى بن معين (ت ٢٠٨هـ) وغيره، وقال عنه أبـو حـاتم: "صـدوق" أما قول الإمام أحمد بن حنبل: (وليس بشىء فى الحديث)(٣) فيبـدو أنـه يقصـد أن نافعا كان قليل الحديث.

منهجه: إن منهج نافع فى التلقى والإقراء يختلف عن منهـج غيره مـن القراء، وكان أسلوبه فى القـراءة علـى أسـاتذته يتسـق مـع أسـلوبه الفريـد فـى الإقراء، فقد بدأ وهو غلام - كما سبق - يقرأ على أبى جعفر، وكـان يختلـف عن غيره ممن أخذ عنه القراءة، فقد كان يسأله كلما أقرأه: (يا أبا جعفر، ممـن

---

(١) القرآن وعلومه فى مصر للدكتور عبدالله خورشيد ص١٨٤.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص٦٣ والقراء الكبار للذهبى ١/٦٠ بتصرف.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبى ٣/٢٢٧، ذكر أخبار أصبهان لأبى نعيم ص٣٢٧.

أخذت حرف كذا وكذا؟) فيقول له مثلا: (من رجل قارئ من فلان ......)[١] وهكذا، فلما رأى ذلك تتبع القراءة يطلبها، وجد فى طلبها[٢].

وينتقل من أبى جعفر إلى غيره من الشيوخ، فيقرأ على غير واحد من تابعى المدينة، ثم يؤلف قراءة تنسب إليه بأسلوب علمى استقرائى جدير بالإعجاب والتقدير، وقد شرح لنا منهجه فى تأليف قراءته بقوله: (قرأت على سبعين من التابعين، أو اثنين وسبعين، فنظرت ما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة)[٣] وهذا المنهج الأصيل الذى ابتكره نافع لم يسبق لأحد من القراء أن أحذ به.

ويقول أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين معلقا على هذا المنهج: (فهذا نص أصيل يفصل فصلا تاما بين المقبول فى نظر نافع، والشاذ الذى تركه على أساس من الرواية ومدى صدقها باجتماع الناس عليها، أو انفراد أحدهم بها، فمثل هذه المفردات روايات آحاد، أو حروفه، تروى ولا يقرأ بها فى نظر نافع، وقد تكون صحيحة لدى غيره من القراء)[٤].

ويضيف أستاذنا قائلا: (ويلاحظ من حديث نافع هذا إطلاقه وصف

---

(١) القراء الكبار ١/٩٠.

(٢) السابق.

(٣) تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص٢٠١ نقلا عن الكامل للهذلى جـ١ (فضل المقرئين السبعة ومن تبعهم).

(٤) تاريخ القرآن ص٢٠١.

الشاذ على رواية الآحاد، دون أن يجعل أساس الشذوذ مخالفة مصحف عثمان، وإن كان فى عمله موافقه أساسيه وضمنية له، وربما كان حديث نافع من أقدم النصوص التى أشارت إلى شذوذ القراءة، ووضعت مقياسا لها، وقد ظل هذا المقياس هو المقياس الوحيد لصحة القراءة أو شذوذها مدة طويلة بعد ذلك، وفى حدود الرسم العثمانى)(١).

وكان منهجه فى الإقراء يتسق مع منهجه السابق فى التلقى، فقد روى عن نافع أن كان يجيز كل ما يقرأ عليه، إلا أن يسأله إنسان أن يقفه على قراءته هو فيقفه عليها، وحين قال له تلميذه المصرى معلى بن دحية: "يا أبا رويم، ما هذا؟ رد عليه قائلا: "سبحان الله أحرم ثواب القرآن؟ أنا أقرئ الناس بجميع القراءات حتى إذا جاء من يطلب حرفى أقرأته به"(٢).

وهذا المنهج يدل على تمكن نافع من وجوه القراءات، وبصره بها، وليس من باب التساهل أو التهاون، أو رغبة فى تأليف قلوب الناس، واجتماعهم على قراءته، فلا يضح ذلك فى القرآن الكريم.

شيوخه: بدأ نافع وهو غلام يقرأ على أبى جعفر (ت ١٣٠هـ) ولكنه ما ليث أن انصرف عنه إلى غيره من تابعى المدينة، فقرأ على شيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ) وعبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ) ومسلم بن جندب

---

(١) السابق.

(٢) القرآن وعلومه فى مصر للدكتور خورشيد ص١٨٨.

(ت١٠٦هـ) يقول ابن مجاهد: (فهؤلاء الذين ذكر نافع أنه أدركهم بالمدينة من الأئمة فى القرآن)[١].

ويقول ابن الجزرى: (وقد تواتر عندنا أنه قرأ على هؤلاء الخمسة)[٢] أما الدانى فيقول: (ورجال نافع الذين سماهم خمسة)[٣] أما الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) فلم يزد عن الخمسة أحدا فى كتبه التى أمكن الرجوع إليها، فيقول مثلا فى معرفة القراء الكبار[٤]: (قرأ على طائفة من تابعى المدينة) ويذكر أيضا فى نفس الكتاب أنه أدرك أئمة يقتدى بهم فى القراءة، منهم الأعرج (ت ١١٧هـ) وأبو جعفر (ت ١٣٠هـ) وشيبة (ت ١٣٠هـ) ومسلم بن حندب (ت ١٠٦هـ) وغيرهم[٥].

وفى أسانيد القراء[٦] يذكر أن نافعا قرأ على سبعين من التابعين منهم أبو جعفر، وابن هرمز، وشيبة، وابن جندب، وابن رومان، وأخذ الخمسة عن أبى هريرة (ت ٥٩ هـ) وابن عباس (ت ٦٨هـ) إلى أن ينتهى إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أما صاحب أخبار أصبهان فلا يسمى أحدا من

---

(١) السبعة لابن مجاهد ص٦٢.

(٢) طبقات القراء ٢/٢٣٣.

(٣) التيسير ص٨.

(٤) القراء الكبار ١/٨٩.

(٥) السابق.

(٦) أسانيد القراء الذهبى ورقة ١٩ مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية ٣١٤٧ جـ .

الخمسة، بل يروى عن نافع قوله: (قرأت على سبعين من التابعين)[١] لا يزيد عن ذلك شيئا.

فما حكاية هؤلاء السبعين التى نطالعها عند كل من كتب عن نافع تقريبا؟ ففى السبعة مثلا يروى محمد بن إسحاق (ت ٢٠٦ هـ) عن أبيه عن نافع أنه قال: (أدركت هؤلاء الأئمة الخمسة وغيرهم ممن سمى نافع، فلم يحفظ أبى أسمائهم)[٢].

وهؤلاء الذين نقلوا عن نافع قولته لا يمكن الشك فى صدقهم، لأنهم من القراء الحفاظ الذين أخذ عنهم القرآن والحديث، وكذلك الإمام نافع فقد ارتضينا صدقه وأمانته فى القرآن، فإذا كان قرأ على سبعين من التابعين فهل خفى هذا على تلاميذه وعشاق قراءته، وهم عدد لا يحصى فى كل مكان، وفى كل مصر؟ وإذا كان فى المدينة وحدها سبعون قراءة مختلفة، أخذها نافع ثم اختار منها قراءته، فأى اضطراب هذا، وأية فوضى هذه؟ فلا يمكن أن يقرأ القرآن بسبعين قراءة مختلفة، وفى بلد واحد، ولذا فإننا نرفض الرأى القائل[٣] بأنهم كانوا سبعين فعلا، ولكن الرواة لم يذكروا أسماءهم، ومن ثم خلت المصادر التى كتبت عن نافع من ذكر أسماء السبعين كلهم.

والأقرب إلى الصواب أن نافعا لم يقصد حقيقة العدد، بحيث لا يزيد ولا

(١) ذكر أخبار أصبهان ص٣٢٧.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص٦٢.

(٣) هو رأى فضيلة الشيخ عامر عثمان أحد علماء القراءات المعاصرين بمصر.

ينقص، وإنما قصد الكثرة فقط، ويؤيد هذا أن العدد سبعين كثيرا ما يأتى بهذا المعنى، فقد جاء فى القرآن الكريم. (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله)[١] واستخدم نافع نفسه العدد سبعين بمعنى الكثرة حين قال: (تركت من قراءة أبى جعفر سبعين حرفا)[٢].

والخلاصة أن نافعا قرأ على الخمسة الذين ذكرناهم إضافة إلى صالح ابن خوات (توفى بعد سنه ١٠٠ هـ) والأصبغ بن عبد العزيز (توفى قبيل سنه١٣٢ هـ) وابن شهاب الزهرى (ت ١٢٤هـ) وعبد الرحمن بن القاسم (ت ١٢٦هـ).

ومن المؤكد أن نافعا التقى بشيوخه السابقين فى المدينة، فلم يؤثر عنه أنه رحل إلى غيرها من أمصار الإسلام، ولكننا لا نستطيع أن نحدد متى أخذ عن كل منهم، ومتى تركه إلى غيره؟ لقد بدأ الأصبهانى وهو غلام يتلقى عن أبى جعفر، ثم تركه إلى غيره من الشيوخ، ولا نملك أن نزيد على هذا.

تلاميذه: لمع اسم نافع فى المدينة، وتجاوزت شهرته دار الهجرة إلى غيرها من الأمصار الإسلامية، فرحل إليه الناس من كل مكان، حتى أصبح لا يطاق القراءة عليه، من كثرة تلامذته ومريدى قراءته.

---

(١) ٨٠/ الأعراف.

(٢) تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص٤٣.

ويصور لنا تلميذه المصرى عثمان بن سعيد الملقب بورش يصف لنا المعنى السابق فيما يلى:

يقول ورش: "صرت إلى نافع فى مسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – فإذا نافع لا يطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما هو يقرئ بلين، فجلست خلف الحلقة، وقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال: كبير الجعفريين[١]، فقلت: وكيف به؟ قال: أنا أجئ معك إلى منزله، وجئنا إلى منزله فخرج شيخ فقلت: جئت لأقرأ على نافع، فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إلى نافع، قال: نعم، وأخذ الرجل طيلَسانه[٢]، ومعنى معنا إليه، فقال له: هذا وسيلتى إليك، جاء من مصر، ليس معه تجارة، ولا جاء لحج، وإنما جاء للقراءة خاصة، فقال: ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار، فقال صديقه: تحتال له، فقال لى نافع: أيمكنك أن تبيت فى المسجد؟ قلت نعم، وبت ليلتها فى المسجد، فلما كان الفجر جاء نافع فقال: ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا – رحمك الله – قال: أنت أولى بالقراءة، وكنت مع ذلك حسن الصوت مدادا به، فاستفتحت فملأ صوتى مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –... إلخ[٣]".

---

(١) يقصد – فيما يبدو – كبير تلامذه أبى جعفر، شيخ نافع الأول.

(٢) الطيلَسان، ضرب أسود من الأكسية، وهو فارس معرب، انظر لسان العرب لابن منظور ٤٣١/٧.

(٣) القراء الكبار للذهبى ١٢٧/١،١٢٨.

وهكذا لم يخرج ورش من المدينة حتى قرأ على نافع عدة ختمات، وكان هذا فى حدود سنة خمس وخمسين ومائه[١].

وقد روى عن نافع قراءته جمع غفير من طلاب القراءة ومريد بها، وقد أحصيت من هؤلاء ما يقرب من الأربعين، من المدينة ومن مصر ومن البصرة والشام وغيرها من الأمصار الإسلامية[٢].

وكان من أشهر تلامذته ورواته عثمان بن سعيد الذى لقبه نافع بلقب (ورش) الذى اشتهر به حتى الآن، ويقال إنه لقبه بهذا نسبة إلى طائر الورشان الذى كان حسن الصوت، وكان ورش يعتزر بهذا اللقب ويردده كثيرا[٣]، وهو اعتزاز بأستاذه فى المقام الأول، ولم تزل[٤] رواية ورش عن نافع مشهورة هنا فى مصر وفى المغرب، وإن كانت تلى فى الشهرة رواية حفص (ت ١٨٠هـ) عن عاصم (ت ١٢٧ هـ).

والمشهور من رواية ورش الآن هو طريق أبى يعقوب الأزرق المصرى (توفى فى حدود عام أربعين ومائتين) ولعل هذا الرجل كان من أهم أسباب انتشار رواية ورش فى مصر، ثم انتقلت بعد ذلك إلى المغرب، ثم

---

(١) السابق ١٢٦/١.

(٢) طبقات ابن الجزرى ٢٣١/٢.

(٣) القراء الكبار ١٢٦/١.

(٤) قراءة الأربعة للمؤلف ص٤٣ (رسالة دكتوراه بدار العلوم).

امتدت إلى وسط إفريقية وغربها، ويقال إن الذى نقلها إلى المغرب هو يونس ابن عبد الأعلى (ت ٢٦٤ هـ)(١).

وتلى رواية قالون - كما سماه أستاذه نلفع - رواية ورش، ويختص برواية قالون غالبية أهل ليبيا وموريتانيا، وبعض أهالى تونس والجزائر(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام نافع كان له رواة كثيرون غير ورش وقالون، وكذلك باقى العشرة، فكل قارئ أخذ عنه كثير من الرواة والتلاميذ، وكلهم ثقات، ومع هذا فقد اشتهر عن كل قارئ راويان فقط(٣).

ويبدو أن الذى بدأ باختيار راويين فقط لكل قارئ هو عثمان بن سعيد الدانى الأندلسى (ت ٤٤٤ هـ) ثم أكد هذا الاختيار وعمقه الإمام الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) فى قصيدته اللامية حرز الأمانى ووجه التهانى التى اشتهرت فيما بعد باسم الشاطبية، ثم شراحها فيما بعد الذين كان لهم فضل كبير فى سعة انتشارها، ومن ثم التأكيد على راويين فقط لكل قارئ(٤).

وكان أبو الجود غياث بن فارس الذى قرأ على الشاطبى أول من شرح الشاطبية، وقام بذلك فى دمشق، وكان شغوفا بالقصيدة معنيا بها، وطال عمره واشتهرت فضائله، فقصده الناس من الأمصار فاشتهرت الشاطبية بسببه(٥)

---

(١) السابق.

(٢) السابق، واسمه عيسى بن مينا (ت ٢٢٠ هـ) وقالون كلمة رومية معناها جيد، انظر النشر ١/١١٢، ١١٣.

(٣) السابق ص٣٥، ٣٦.

(٤) السابق.

(٥) المنجد لابن الجزرى ص٥٣.

قال فى المنجد: (وإلا فما كان قبله تعرف الشاطبية أو تحفظ) - أى فى المشرق - فكان أهل مصر يحفظون العنوان لأبى الطاهر (ت ٤٥٥ هـ) مع مخالفته للكثير مما تضمنته الشاطبية، وكان أهل العراق لا يحفظون سوى الإرشاد لأبى العز القلانسى (ت ٥٢١ هـ) ولذا نظمة كثير من الواسطيين والبغداديين، ولولا ما وقع من فتنة هؤلاء بالعراق وفتنة جنكيز خان ببلاد العجم وما وراء النهر، وقتل من قتل من أهل القراءات لما اشتهرت الشاطبية ولا التيسير، كما هو معلوم عند العلماء الحققين[١].

ونعود مرة أخرى إلى نافع لنتساءل مع الدكتور خورشيد: لماذا يرحل المصريون إلى نافع بالذات، والمدينة دون غيرها؟ ويضيف سيادته قائلا: (لقد شهد القرن الثانى كثيرا من الأئمة القراء الذين مهروا فى القرآن، وبرعوا فى قراءته، ونبغوا فى دراسته، وتألقوا فى المجتمعات الإسلامية فى مكة والمدينة ودمشق والكوفة والبصرة[٢]).

ويجيب عن ذلك بأن بعد الشقة بين مصر والعراق قد نجد فيه بعض العذر للمصريين فى عدم الذهاب إلى البصرة، أو الكوفة أو غيرها من حواضر العراق حيث نبغ هناك عاصم (ت ١٢٧ هـ) وأبو عمرو (ت ١٥٤ هـ) وحمزة (ت ١٤٥ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) وحينئذ لم يكن أمامهم سوى

---

(١) السابق.

(٢) القرآن وعلومه فى مصر للدكتور عبدالله خورشيد ص١٩٤.

الشام حيث نبغ عبدالله بن عامر (ت ١١٨هـ) والحجاز حيث نبغ ابن كثير (ت ١٢٠هـ) وابن محيصن (ت١٢٣هـ) في مكة، وأبو جعفر (ت ١٣٠هـ) ونافع بالمدينة، ويكاد الحجاز والشام يستويان من حيث المسافة بينهما وبين مصر، ومن حيث إلف المصريين إياهما، وترددهم عليهما، غير أن الحجاز يفوق الشام من حيث إن مهد الرسالة، وموطن النبوة من جهة، وكعبة الحج من جهة أخرى، حتى لا يمكن أن يمر العام دون أن يذهب مئات منهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وكانت المدينة بالذات قد أصبحت العاصمة الثقافية للمسلمين منذ انتقال الخلافه عنها إلى دمشق، إلى جانب كونها عاصمتهم الروحية من أيام النبى صلى الله عليه وسلم - وكان المعتقد أن أهل المدينة كانوا يحتفظون عن طريق التقليد والتلقين بأقوى صور الدين إلى الأصل، لذلك كله كان طبيعيا جدا أن يرى المصريون قراءة المدنيين أقرب القراءات الى الأصل، وأن يتجهوا إلى أخذ كتابهم العزيز من ذلك القارئ الذى نبغ فى مدينة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وفاق غيره فى تلك المرحلة التى كانت تسعى إلى حصر قراءة المصحف العثمانى فى طرق بعينها[١].

لكننا نعتقد أن السبب فى اتجاه المصريين وغيرهم إلى المدينة لا يرجع إلى مكانة الحجاز عامة فى قلوب المسلمين، فقد كان فى الحجاز قراء آخرون غير قراء المدينة، كان ابن كثير وابن محيصن فى مكة، فلماذا لم يتجه

(١) السابق.

المصريون إلى مكة؟ ولهذا البلد مكانة عظيمة عند المسلمين، ففيه البيت المعمور، وإليه يفد الحجيج من أقطار الإسلام كافة، وهم لم يتجهوا إلى نافع بسبب شرف المدينة، فإن مكة تنافسها هذا الشرف، والأقرب إلى الصواب أنهم اتجهوا إلى المدينة لأن فيها نافعا، ولم يتجهوا إليه لأنه فى المدينة، فقد كان قبل نافع أبو جعفر وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ) وغيرهما، ولم يقبل الناس عليهم هذا الإقبال الذى رأيناه على نافع، سواء من المصريين أو من غيرهم.

ونعتقد أن شخصية نافع بما ازدانت به من مزايا عديدة لم تتوفر لغيره من القراء، تلك المزايا الفريدة الرائعة هى التى جذبت المسلمين من جميع أقطارهم للقراءة عليه.

وهذه المزايا عديدة متنوعة، فهو رجل طيب، فيه دعابة، وهذه الدعابة فى نافع ربما كانت من أهم الأسباب التى جعلت الناس يعجبون به وبقراءته، وبخاصة المصريون الذين كانوا يميلون إلى الدعابة والمرح، وكان نافع ممن يميلون إلى ذلك، مع خفة ظله ولونه الأسود، هذه الصفة جعلت منه شخصية جذابة محببة إلى قلوب تلاميذه، بل جعلته قبله الناس فى القراءة، وقد وصفه بعض تلاميذه بأنه إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، كما كان صبيح الوجه، حسن الخلق، ومثل هذه الصفات إذا توفرت لإنسان فإنها بلا جدال تجعل منه شخصية جذابة مرموقة عند تلاميذه، فقد أحب التلاميذ نافعا وأعجبوا بشخصيته قبل أن يعجبوا بقراءته.

ولـم تكـن هنـاك الصفـات هـى السـبب الوحيـد الـذى جعـل مـن هـذا الأصبهانى الشاب شخصية مرموقة فى عالم القرآن وإقرائه، فـإن أسلوبه فـى الإقراء كان رائعا ومبتكرا، كان يقبل قراءة من يقرأ عليه، ولو كـانت مخالفة لقراءته هو، فهو يقرئ بجميع القراءات، حتى إذا جاءه من يطلب حرفه أقـرأه به، وهذا الأسلوب الذى اتخذه نافع يتسق مع روح الإسلام، روح التيسير الذى تميز بها هذا الدين.

وكان نافع موفقا كل التوفيق فـى اختيـاره لهـذا الأسـلوب، فهـو يذكرنـا بحديثه صلى الله عليه وسـلم: (أنـزل القـرآن علـى سبعة أحـرف) حيث أراد الرسول التيسير فى قراءة القرآن، والتوسعة على المسلمين[1].

وإن كـان هنـاك فـرق بيـن أسـلوب نـافع وتلـك الرخصـة التـى منحهـا الرسول للمسلمين، والتى نتهت بكتابة المصحف العثمانى، فقد كان نـافع يقبل القراءة لعلمه بالقراءات جميعا- على الأقل فى المدينة - وليس تهاونا منه، أو تاليفا لقلوب الناس حتى يجتمعوا عليه، وإنما كان إماما فى القـراءة، ولـم يكـن يجبر أحدا على قراءته هو، بل يجيزه على القراءة التى يعرفها، فإذا طلب منه قراءته التى ألفهـا بطريقتـه الخاصـة أقرأه بهـا، وكـان فـى ذلـك فاهمـا لـروح التيسير التى اتسم بها الإسلام، وقد أكد هذه الروح قبلـه الرسـول- صلـى اللـه عليه وسلم- فى قراءة القرآن حيث أباح للمسلمين أن يقرأوا القرآن على سبعة أحرف.

---

(١) انظر تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص٤٣.

ونافع لا يجيز القراءة إلا لعلمه بصحة سندها، وموافقتها لكلام العرب، فقد سأله الأصمعى (ت هـ) عن الذيب والبير فقال: (إن كانت العرب لهمزها فاهمزها[١]).

وقرأ نلفع على سبعين من تابعى المدينة، وبذا استطاع أن يجمع كثيرا من القراءات ليختار منها فى النهاية قراءته التى تنسب إليه، فقد قرأ على الإمام أبى جعفر الذى أقرأ الناس دهرا، وعلى شيبة بن نصاح وعلى مسلم بن جندب وغيرهم من الأئمة القراء، ومثل هذا العدد من الأئمة الذين قرأ عليهم نافع لم يتوفر لغيره من القراء المعاصرين له، أو لم يحاول واحد منهم أن يأخذ عن مثل هذا العدد الذى أخذ عنه نافع، مما جعله يحيط بكثير من القراءات.

وبجانب القراءات روى نافع الحديث عن بعض التابعين، وكما قصده الناس للقراءة عليه قصدوه لرواية الحديث[٢]، وكان ذلك من الأسباب المعقولة- بالإضافة إلى الأسباب السابقة- التى أدت إلى اجتماع الناس من كل مكان إليه، فقد كان قارئا ومحدثا فى الوقت نفسه، وهذا شىء لم يتح لغيره من القراء.

إذا هناك أسباب قوية دفعت الناس إلى أن يلتفوا حول نافع دون غيره من القراء المعاصرين له، وهى مرحه ودعابته، وأخذه القراءة عن عدد كبير من التابعين، وإجازته لمن يقرأ إلا إذا طلب قراءته، هذا إلى معرفته بالحديث.

---

(١) القراء الكبار للذهبى ٩٢/١.

(٢) انظر القراء الكبار ٨٩/١، ٩٠.

وكان من الطبيعى أن يجتمع الناس على نافع، ويلتفوا حوله حتى إن القراءة عليه كانت لا تطاق، من كثرة التلاميذ الذين يقرءون عليه.

ونتيجة للمزايا السابقة سادت قراءة نافع المدينة، وانتقلت إلى مصر عن طريق تلاميذه المصريين الذين رحلوا إليه، وانتشرت فى مصر بفضل عثمان ابن سعيد الملقب بورش، ثم انتقلت إلى المغرب والأندلس(١)، وبقيت حتى الآن فى المغرب ومصر وغرب إفريقية ووسطها(٢).

كتبـــــــه: كان نافع من أوائل من عنى من القراء الأوائل بمعرفة الوقف والابتداء، وألف فى هذا الموضوع كتابا بعنوان (وقف التمام(٣)) وبرغم أن حاجى خليفة لم يشر إلى هذا الكتاب فإنه يبدو أن أقدم مؤلف فى الوقوف بعد كتاب أستاذه شيبة بن نصاح، وعندما رحل سقلاب بن شيبة (ت ١٩١هـ) من مصر إلى نافع لعرض القرآن عليه حرص على أن يروى عن أستاذه كتابه وقف التمام(٤).

وذكر صاحب الفهرست ضمن الكتب المؤلفة فى عدد أى القرآن كتابين لنافع، الأول كتاب عدد المدنى الأول، والثانى عدد المدنى الثانى، وذكر كتابا ثالثا لنافع فى عواشر القرآن(٥).

---

(١) النشر ٤٢/١.
(٢) ملحق المصحف المعلم ص٥٨٦.
(٣) القرآن وعلومه فى مصر نقلا عن التيسير ص٤٥.
(٤) السابق.
(٥) الفرست لابن النديم ص٥٦.

موقف النحاه من نافع :

روى خارجة بن مصعب الخراسانى (ت ٢١٣هـ تقريبا) عن نافع (معايش[١]) بالهمز[٢]، وقد اتهم بعض النحاه نافعا- بسبب هذه الرواية - باللحن وعدم معرفة العربية، قال المازنى: (فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة (معائش) بالهمز فخطأ، فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع، ولم يكن يدرى ما العربية، وله أحرف يقرؤها لحنا نحو هذا[٣]) وقال الزجاج: (جميع نجاة البصرة تزعم أن همزها خطأ، ولا ينبغى التعويل على هذه القراءة[٤]).

وقد تأثر يوهان فك بذلك فقال: (ويجوز لنا أن نفترض أن اللغة العربية فى المدينة لم تحظ بعناية خاصة، وأن الدوائر المثقفة فى المدينة لم تتمسك بتعاليم القواعد ومبادئها) ويضيف: (وحتى فى قراءة القرآن يلاحظ نوع من التساهل فى الشئون النحوية، فهذا نافع يقرأ (معايش) بالهمز)[٥].

وإذا كان النحاه أو غيرهم يتهم نافعا بتلك التهم استنادا على رواية خارجة فذلك استناد على أساس واه، لأن هذا الحرف من شواذ نافع، ولذا لم يذكر فى النشر.

---

(١) ١٠/ الأعراف.
(٢) السبعة لابن مجاهد ص٢٧٨.
(٣) المنصف لابن جنى ص٢٠٧.
(٤) البحر لأبى حيان ٤/٢٧١.
(٥) العربية ليوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص٦٩.

ولكن لماذا يهاجم النحاه– وبخاصة البصريون– نافعا؟ الحق أنهم لم يهاجموا نافعا فقط، بل غلطوا العرب أنفسهم، وجعلوا من قواعدهم معيار الحكم على صحة ما يقوله العرب، غير عابئين بما يقوله أصحاب اللغة أنفسهم، وقد كان الكوفيون أكثر احتراما للنص القديم من البصريين فلا يصفونه بالنعوت المألوفة لدى نحاة البصرة حين يكون قليلا أو نادرا(١).

وكان موقف النحاه من القراء في أول الأمر موقف مهادنة، لا يعرضون للقراءات بخيرا أو شر، لأن من أئمة النحو الأول من كانوا أيضا أئمة فى القراءات القرآنية كالكسائى (ت١٨٠هـ) وأبى عمرو (ت ١٥٤هـ) ولكن حين استقل هؤلاء عن هؤلاء، وتخصص قوم فى دراسة النحو، كما توفر آخرون على دراسة القراءات رأينا النحاة يعمدون إلى بعض القراءات فيُجرِّحونها وينتقصون منها، ومنهم من رفضها ورفض الاعتراف بها(٢).

ولا شك أن النحاه كانوا يهدفون إلى المحافظة على اللغة العربية وحمايتها من اللحن، وخدمة القرآن الكريم، وكان هدف القراء المحافظة على كتاب الله، ومن ثم فإن التصادم بين الفريقين يبدو غريبا غير مستساغ، ولعل سبب ذلك اختلاف منهج القراء عن منهج النحاه واختلاف مصدريها فى استقاء اللغة.

---

(١) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ص٢٦.

(٢) السابق ص٢٠٧، ٢٠٨.

لكن يبقى أن الخصومة بين النحاة والقراء ونفرة بعضهم من بعض كانت على حساب الحقيقة، ولم تؤد إلا إلى بعثرة الجهود وضياع كثير من تقاليد اللغة وأسانيدها، أو اندثاره في بطون الكتيب ، دون أن يسهم في تدعيم قواعد اللغة، ونشر تقاليدها الصحيحة وتصفية الخلاف حولها[1].

وبعد فإننا يجب أن نشير إلى نقطتين اثنين قبل أن نختم حديثنا عن نافع قارئ المدينة المنوره، الأولى ما أشار إليه بعض النحاة من أنه لم يكن يدرى ما العربية؟ لأنه من أصل غير عربى، فليس من تبرير لهذه التهمة إلا أن الأمام نافع كان فارسيا، أما النقطة الثانية فهى مرتبطة بالأولى، وهى مكانه الموالى -غير العرب- فى الدولة الإسلامية وفى المجتمع الإسلامى أيضا؟؟.

العرب والعروبة : إذا كان نافع قداتهم بعدم دراية العربية لأنه من أصل غير عربى فإن أحد الباحثين[2] المحدثين ذكر ما هو أوضح وأكثر صراحة، إذ يعتقد أن الغموض الذى يكتنف بعض عبارات سيبويه فى الكتاب راجع إلى أن الرجل كان غير عربى، ولذا كانت بعض العبارات غير

---

(١) الأصوات فى قراءة أبى عمرو ص٤٣٩.

(٢) هو الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب فى مقال بعنوانه: (الأصوات عند سيبويه) ص٢٢- ٣٤، انظر مجلة قسم اللغة العربية بجامعة بايرو - كانو نيجيريا، جـ١ مايو ١٩٧٥م، المقال منشور بالعربية والإنجليزية بذات المجلة، وقد رجعنا الى كتاب سيبويه غير مرة، فلم نجد غموضاً فى لفظ أو عبارة، ولا ننسى أن الكتاب عمره لا يقل عن اثنى عشر قرناً، ومن هنا فإن فهم الكتاب -وإن وجد فى بعض الفاظه أو عباراته غموضاً- يعتبر إنجازاً مهماً وشيئا رائعا لا نجده بسهولة فى غير العربية.

مستقيمة؟ إن هذا الرأى لفى حاجة ماسة إلى المناقشة والتمحيص من جانب علماء العربية ومتخصصيها، إذ من الصعب أن نوافق الأستاذ الفاضل على ما ذهب إليه، وهاك مبررات الرفض التى نفصلها فيما يلى:

إن اسم العرب فى الأصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف[١]:

١- أن لسانهم كان عربيا.

٢- أنهم كانوا من أولاد العرب.

٣- أن مساكنهم كانت أرض العرب، وهى شبه الجزيره العربية، وفى هذه الأرض كانت العرب حين بعث المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وقبله.

فلما جاء الإسلام وفتحت المدن والأمصار سكن العرب سائر البلاد من أقصى الشرق إلى أقصى المغرب[٢]، وهنا تغيرت الأوضاع والمعايير، ذلك أن العربية بدأت تحل محل غيرها من اللغات المحلية، وأخذت تسود الشام والعراق ومصر والمغرب... وغيرها من ديار الإسلام، وأصبح عامة الناس فى هذه الديار لا يعرفون غير العربية لغة لهم فى حياتهم وفى جميع شئونهم[٣].

(١) اقتضاء الصراط لابن تيمية ص١٦٦.

(٢) السابق.

(٣) السابق "بتصرف".

وفى هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية لم يعد لصفة العروبة شرط غير الشرط الأول والأهم، وهو عروبة اللسان واللغة، وهوما تعبر عنه كثير من الأحاديث[١] والآثار، كما يلى:

١- جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال: (هؤلاء الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل- يعنى النبى صلى الله عليه وسلم- فما بال هذا وهذا؟) مشيرا إلى غير العرب من الجالسين، فقام إليه معاذ بن جبل - رضى الله عنه- فأخذ بتلابيبه، ثم أتى النبى- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بمقاله، فقام النبى مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى: (الصلاة جامعة) فاجتمع الناس فخطبهم قائلا: (يا أيها الناس، إن الرب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هى اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربى.

٢- روى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على: (من ولد فى الإسلام فهو عربى) ويعلق ابن تيمية بقوله: (لأن من ولد فى الإسلام فقد ولد فى دار العرب واعتاد خُطابها، وهكذا كان الأمر".

٣- روى أبو هريرة يرفعه: "من تكلم بالعربية فهو عربى، ومن أدرك له أبوان فهو عربى".

---

(١) السابق.

فإذا طبقنا ما جاء فى الآثار السابقة على نافع لوجدنا أنه بلا شك لم يكن يتكلم غير العربية، وهو أمر بديهى، فلا يمكن لقارئ القرآن أن يصطنع لسانا غير اللسان العربى الذى به نزل الكتاب الكريم، ولا يتصور إلا أن يكون هذا القارئ متمكنا غاية التمكن فى ذلك اللسان.

ومن ناحية اخرى فإن نافعا منذ جاء مع السبى لم يترك المدينه إلى غيرها من الأمصار، أى أنه عاش فى دار العرب واعتاد خطابها، وهو بالتأكيد قد أتقن لغتها، مما جعله جديرا بمكان الصدارة والإمامة فى عالم القرآن وإقرائه، يتقاطر عليه طلاب القراءة من سائر أرجاء الإسلام آنذاك.

ويضاف إلى ما سبق أن إمامنا ترك وطنه الأم أصبهان وهو صغير السن، مما يجعله ينسى بسهولة ما تعلمه من لغة قومه- إن كان قد تعلم شيئا - فقد جاء- كما قيل - مع السبى، وهو لا يكون إلا للنساء خاصة[١] مما يشير إلى أنه كان آنذاك صبيا صغيرا، كما أنه بدأ يتعلم القراءة ويأخذها عن أبى جعفر، وهو طفل له ذؤابة كما سبق.

وصفوة القول أن الإمام نافعا جاء إلى جزيرة العرب وهو صبى صغير فتعلم العربية وأتقنها، شأنه فى ذلك شأن غيره من الموالى الذين عاشوا وسط البيئة العربية الإسلامية فتعربت ألسنتهم، وكانت العربية لهم لغة والإسلام لهم دينا.

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٨٨/١٩.

وإذا ترك صبى فى مثل عمر نافع آنذاك وطنه إلى بلد آخر وعاش فيه حياته كلها، ولم يتصل بوطنه ولم يره بعد ذلك فهل تراه لا يتقن لغة البلد الذى قضى عمره فيه؟.

ومن نافلة القول أن نستطرد إلى ما يشاع من أن تلك الحضارة العظيمة التى بناها المسلمون كانت من صنع غير العرب، بدليل أن كثيرا من العلماء والعظماء كانوا من أصل غير عربى، ولسنا بحاجة إلى أمثلة، إلا أننا نقدم للقارى مثالا واحدا يتعلق بموضوعنا، وهو أن القراء السبعة للقرآن الكريم ليس فيهم من العرب غير اثنين فقط، هما[1] عبدالله بن عامر اليحصبى، قارئ الشام (ت ١١٨هـ) وأبو عمرو بن العلاء التميمى، قارئ البصرة (ت ١٥٤هـ).

وقد بنى على الاتهام السابق أن هذا الحضارة ليست عربية، فقام بعض العرب ليقول: لا، بل حضارة عربية، بدليل أن عددا كبيرا من العلماء والقادة كانوا عربا أقحاحا، كما أن رأس الدولة كان من العرب، سواء فى عصر الراشدين، أو فى عهد الأمويين أو العباسيين وربما غيرهم.

والحقيقة أن حضارة المسلمين كان حضارة عربية اللغة واللسان، إسلامية العقيدة والبنيان، وقد ساهم فى هذا الصرح الحضارى العرب والعجم على السواء، حيث صبهرتهم عقيدة التوحيد فى بويتقة واحدة، وجعلت منهم صفا واحدا، مما جعلهم يقيمون أعظم دولة وأقواها فى تاريخ الزمان.

---

(١) انظر السبعة لابن مجاهد تحقيق وتقديم د. شوقى ضيف ص٨٦.

ونعود الآن إلى النقطة الثانية التى وعدنا بالحديث عنها، وهى

مكانة الموالى فى الدولة الإسلامية: لعل القارئ الكريم قد سمع بما أشاعه بعض الناس- بقصد أو بحسن نية- من أن الموالى قد تعرضوا فى عهد الدولة الأموية للاضطهاد، وأن تلك الدولة كانت تحابى العرب على حساب غيرهم، ولذا كان من أهم أسباب سقوط دولة بنى أمية انحياز العجم -غير العرب- إلى العباسيين ووقوفهم إلى جانبهم.

والحق أننا لا نملك الدخول فى تفصيلات التاريخ أو الإسهاب فى الرد على هذه الافتراءات، وإنما نشير فقط إلى مشهد واحد من مشاهد هذا التاريخ، هذا المشهد يتكرر كثيرا، ويتمثل فيما يلى:

لقد غلب العرب المسلمون الفرس عسكريا، وكان من المتوقع أن يحدث تعالٍ وغطرسة من الغالب المنتصر، وكراهية من الجانب الآخر وعداء ضد الفاتحين الفازين، كل هذا لو حدث فإنه لن يكون خارجا عن سياق الهزيمة والانتصار، ولكن الذى حدث كان على خلاف ذلك تماما، لقد انصهر الجميع فى بويتقة الإسلام، واصطبغوا بصبغته، فلا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، كما ذكر الرسول الأكرم- صلى الله عليه وسلم- وانصرف الجميع الغالب والمغلوب إلى مواصلة الفتوحات الإسلامية وحمل راية التوحيد وإنقاذ الشعوب المظلومة المضطهدة وفك إسارها وعنقها من أغلال نظمها الفاسدة الظالمة المستبدة.

وهنا نتساءل: لقد كان نافع من أصل فارسى - وغيره كثير - فهل عرف قلبه الموجدة أو الكراهية ضد من فتحوا بلاده، وهل كان هناك من العرب -أو من غيرهم- من يجرؤ على عدم تقدير الإمام نافع بله التعالى عليه؟؟ إن شيئا من ذلك لم يحدث على الإطلاق، بل كان إمامنا -وغيره من الفرس- يحظى بكل التقدير والاحترام، ويكن للعرب ولغيرهم من المسلمين كل الود والتبجيل وليس فى حياة نافع- فيما نعرف - ما يكدر صفو ما قلنا، ولقد جاء إليه طلاب القراءة من كل مكان فلم يفرق بينهم بسبب جنس أو لون أو عروبة أو غيرها.

هذا ما حدث على مستوى المجتمع المسلم آنذاك، ولا يمكن أن يقال غير هذا، أماما حدث من تجاوزات من جانب دولة بنى أمية والحق يقال: إن العرب بالذات وقع عليهم قدر كبير من هذه التجاوزات، وليرجع القارئ إذا أراد إلى مقتل الإمام الحسين بن على (ت ٦١هـ) وموقعة الحرة سنة ٦٣هـ ... إلخ من الحوادث الدامية التى راح ضحيتها كثير من العرب الخلص، أو على الأقل لم تفرق بين عرب وعجم.

والآن نستطيع أن نختم حديثنا عن الأصبهانى، قارئ مدينة الرسول بالحديث عن:

وفاته: فقد مات - رحمه الله- سنة ١٦٩هـ بالمدينة، بعد عمر مديد قارب المائة، ودفن بالبقيع، وحين حضرته الوفاة قال له أبناؤه: أوصنا، فقال

لهم[١]: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)[٢].

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه

وأن يجزينا عنه خير الجزاء

الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

الجمعة ١٤ شعبان ١٤٠٣ هـ

١٩٨٣/٥/٢٧م.

---

(١) طبقات القراء لابن الجزرى ٣٣٤/٢.

(٢) ١/١ الأنفال، لاحظ أن الله أمر بإصلاح ذات البين قبل طاعة الله ورسوله!! وذلك لأهميتها.